

المحاضرة الرابعة بعنوان

جمع القرآن الكريم بمعنى كتابته

النوع الثاني: جمعه بمعنى كتابته وتدوينه:

جمع القرآن الكريم بهذا المعنى ثلاث مرات:

- الجمع الأول: في عهد الرسول ﷺ.
- الجمع الثاني: في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
- الجمع الثالث: في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

المراد بالجموع الثلاثة:

وقد يشكل على الذهن كيف يجمع الشيء الواحد ثلاث مرات فإذا كان جُمِعَ في عهد الرسول -ﷺ- فكيف يجمع في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- وإذا جمع في عهد أبي بكر ثانية فكيف يجمع ثالثة.

والجواب: أنه لا يراد بالجمع معناه الحقيقي في جميع المراحل. فالمراد بجمع القرآن في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- "كتابته وتدوينه" والمراد بجمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه "جمع في مصحف واحد". والمراد بجمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه "نسخه" في مصاحف متعددة.

ويظهر بهذا أن الجمع بمعناه الحقيقي كان في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وستحدث عن كل مرحلة من مراحل هذه الجمع.

أولاً: جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه في عهد الرسول ﷺ:

كتاب الوحي:

اتخذ الرسول -ﷺ- عددًا من الصحابة كان إذا نزل عليه شيء من القرآن أمر أحدهم بكتابته وتدوينه ويعرف هؤلاء الصحابة بـ "كتاب الوحي" ومنهم:

لخفاء الأربعة، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاوية بن أبي سفيان، ويزيد بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاصي وحنظلة بن الربيع، والزبير بن العوام وعامر بن فهيرة، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن الأرقم، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن رواحة، وخالد بن الوليد، وثابت بن قيس، وغيرهم.

صفة هذا الجمع:

وصف هذا الجمع صحابيyan جليلان فقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: "كنا عند رسول الله -ﷺ- نؤلف القرآن من الرِّقَاع" أي نجمعه لترتيب آياته من الرقاع، وروى عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ: كان إذا نزل عليه شيء يدعو بعض من كان يكتبه فيقول: "ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا". الحديث.

لم تكن أدوات الكتابة ميسرة للصحابة في ذلك الوقت فكانوا يكتبونه على كل ما تناله أيديهم من العُسْب "وهي جريد النخل".

- واللِّخَاف: "وهي الحجارة الرقيقة".
- والرقاع: "وهي القطعة من الجلد أو الورق".
- الكرانيف: "وهي أطراف العشب العريضة".
- والأقتاب: "جمع قَتَب وهي الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه".
- والأكتاف: "جمع كَتَف وهي عظم عريض للإبل والغنم".

وكان كتاب الوحي -رضي الله عنهم- يضعون كل ما يكتبون في بيت رسول الله -ﷺ- وينسخون لأنفسهم منه نسخة.

مميزات جمع القرآن في عهد الرسول ﷺ:

1. ثبت في السنة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ومما ورد في ذلك حديث عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وفيه قال رسول الله ﷺ: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه" وقد كانت كتابة القرآن في عهد الرسول -ﷺ- على الأحرف السبعة.
2. أجمع العلماء على أن جمع القرآن في عهد رسول الله -ﷺ- كان مرتب الآيات أما ترتيب السور ففيه خلاف.
3. بعض ما كتب في عهد الرسول -ﷺ- نسخت تلاوته وظل مكتوباً حتى توفي رسول الله -ﷺ- وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان فيما أنزل من القرآن: "عشر رضعات معلومات يحرمن" ثم نسخن "خمس معلومات" فتوفي رسول الله -ﷺ- وهن فيما يقرأ من القرآن.
4. لم يكن القرآن الكريم في عهد الرسول الله -ﷺ- مجموعاً في مصحف واحد، بل كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف واللخاف وغيرها؛ ولهذا قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: "قبض النبي -ﷺ- ولم يكن القرآن جمع في شيء"، وقال أيضاً لما أمر بجمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه: "فتتبع القرآن أجمعه من العشب واللخاف وصدور

ولعلك تسأل بعد هذا لماذا لم يجمع القرآن في عهد الرسول -ﷺ- في مصحف واحد؟ وقد أجاب العلماء رحمهم الله تعالى على ذلك، وذكرنا أسباباً منها:

1. أن الله تعالى قد أمن نبيه عليه الصلاة والسلام من النسيان بقوله سبحانه وتعالى: ﴿سَنُفَرِّقُكَ فَلَا تَنْسَى، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، أي ما شاء أن يرفع حكمه بالنسخ فلا خوف إذن أن يذهب شيء من القرآن الكريم، وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فإن النسيان قد يقع فبادر المسلمون إلى جمعه في مصحف واحد.
2. قال الخطابي: "إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة.

وقال الزركشي: "وإنما ترك جمعه في مصحف واحد؛ لأن النسخ كان يرد على بعض، فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظه الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين".

3. أن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة، بل نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة.

4. أن ترتيب آيات القرآن وسوره ليس على حسب ترتيب نزوله،

ولو جمع القرآن في مصحف واحد حينذاك لكان عرضة للتغيير كلما نزل شيء من القرآن.

ولم يكن الصحابة -رضي الله تعالى عنهم- إذا اختلفوا في شيء من القرآن يرجعون إلى ما هو مكتوب بل كانوا يرجعون إلى الرسول -ﷺ- فيعرضون عليه قراءتهم ويسألونه عنها.

وبعد وفاة الرسول -ﷺ- ومقتل بعض القراء من الصحابة دعت الحاجة إلى جمع القرآن في مصحف واحد، فكان ذلك في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثانياً: جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

سببه:

بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ارتدت بعض قبائل العرب فأرسل أبو بكر -رضي الله عنه- خليفة الرسول -صلى الله عليه وسلم- الجيوش لقتال المرتدين وكان قوام هذه الجيوش هم الصحابة رضوان الله عليهم وفيهم حفاظ القرآن، وكانت حروب الردة شديدة قتل فيها عدد من القراء الذين يحفظون القرآن الكريم، فخشي بعض الصحابة أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته ١ فأراد أن يجمع القرآن في مصحف واحد بمحضر من الصحابة.

وقصة ذلك رواها البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلي أبو بكر -مقتل أهل الإمامة- فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر ٢ يوم الإمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالموطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر: كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله عليه وسلم. قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي كنت تكتب الوحي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله

عنهما، فتتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجد ما مع أحد غيره: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها".

تاريخ هذا الجمع:

هو كما جاء في الحديث بعد معركة الإمامة، وفي السنة الثانية عشرة من الهجرة.

أسباب اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه لهذا الجمع:

ترجع أسباب اختيار زيد بن ثابت لأمر منها:

1. أنه كان من حفاظ القرآن الكريم.
2. أنه شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، وقد روى البغوي عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال: قرأ زيد بن ثابت عن رسول الله -ﷺ- في العام الذي توفاه الله فيه مرتين إلى أن قال عن زيد بن ثابت أنه: "شهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، و ولاه عثمان كتبة المصاحب رضي الله عنهم أجمعين".
3. أنه من كتاب الوحي للرسول ﷺ.
4. خصوبة عقله، وشدة ورعه، وكمال خلقه، واستقامة دينه، وعظم أمانته ويشهد لذلك قول أبي بكر رضي الله عنه له: "إنك رجل شاب، عاقل، ولا تنهك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ" وقوله نفسه رضي الله عنه: "فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن".

منهج زيد في هذا الجمع:

من المعلوم أن زيد بن ثابت رضي الله عنه كان يحفظ القرآن كله في صدره، وكان القرآن مكتوباً عنده ومع هذا فلم يعتمد على ما حفظه ولا على ما كتب بيده، وذلك أن عمله ليس جمع القرآن فحسب، وإنما التوثيق والتثبت فيما يكتب؛ ولهذا يقول الزركشي رحمه الله تعالى عن زيد:

"وتتبعه للرجال كان للاستظهار لا لاستحداث العلم" وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: "وفائدة التتبع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند ما كتود امتثالا ذلك فقد قام عمر في الناس فقال: "من كان تلقى من رسول الله -ﷺ- شيئاً من القرآن فليأتنا به".

وقد بين زيد نفسه المنهج الذي سلكه بقوله رضي الله عنه: "فتتبع القرآن أجمعه من العسب والخاف وصدور الرجال".

وعلى هذا فإن منهج زيد في جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- يقوم على أسس أربعة:

- الأول: ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ.
 - الثاني: ما كان محفوظاً في صدور الرجال.
 - الثالث: أن لا يقبل شيئاً من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كتب بين يدي الرسول -ﷺ- قال السخاوي معناه: "من جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله الذي كتب بين يدي رسول الله ﷺ".
- وقال ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى: "وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي -ﷺ- لا من مجرد الحفظ".
- الرابع: أن لا يقبل من صدور الرجال إلا ما تلقوه من فم الرسول -ﷺ- فإن عمر رضي الله عنه ينادي: "من كان تلقى من رسول الله -ﷺ- شيئاً من القرآن فليأتنا به" ولم يقل من حفظ شيئاً من القرآن فليأتنا به.

بين يدي النبي ﷺ

وقد رسم أبو بكر -رضي الله عنه- لزيد المنهج لهذا الجمع فقال له ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه: "اقعدوا على باب المسجد، فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه،

وقد امتثالا ذلك فقد قام عمر في الناس فقال: "من كان تلقى من رسول الله -ﷺ- شيئاً من القرآن فليأتنا به".

مميزات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

1. جمع القرآن الكريم في هذا العهد على أدق وجوه البحث والتحري والإتقان على الوجه الذي أشرنا إليه في منهج الجمع.
2. أهمل في هذا الجمع ما نسخت تلاوته من الآيات.
3. أن هذا الجمع كان بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم كما كان في الرقاع التي كتبت في عهد الرسول ﷺ.
4. أن هذا الجمع كان مرتب الآيات باتفاق واختلف العلماء في السور هل كانت مرتبة في هذا الجمع أم أن ترتيبها كان في عهد عثمان رضي الله عنه.
5. اتفق العلماء على أنه كتب نسخة واحدة من القرآن في هذا الجمع حفظها أبو بكر لأنه إمام المسلمين.
6. ظفر هذا الجمع بإجماع الأمة عليه وتواتر ما فيه.

مكانة هذا الجمع:

ظفر هذا الجمع باتفاق الصحابة - رضي الله عنهم - على صحته ودقته وأجمعوا على سلامته من الزيادة أو النقصان، وتلقوه بالقبول والعناية التي يستحقها حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين".

ومع هذا التصريح من علي - رضي الله عنه - فقد زعم قوم أن أول من جمع القرآن هو علي - رضي الله عنه - وقد رد عليهم الألوسي فقال: وما شاع أن عليا - كرم الله وجهه - لما توفي رسول الله - ﷺ - تخلف لجمعه. فبعض طرقه ضعيفة، وبعضها موضوعة، وما صح فمحمول كما قيل على الجمع في الصدر، وقيل: كان جمعا بصورة أخرى لغرض آخر، ويؤيده أنه

قد كتب فيه الناسخ والمنسوخ فهو ككتاب علم. ولهذا روي أن أول من جمعه عمر رضي الله عنه، كما روي أن أول من جمعه سالم مولى أبي حذيفة، أقسم أن لا يرتدي برداء حتى يجمعه وكل ذلك محمول على ما حمل عليه جمع علي - رضي الله عنه - بل ذكر ابن حجر وغيره أن جمع علي - رضي الله عنه - كان حسب ترتيب النزول وذكر النهاوندي - أحد مفسري الرافضة - "أن الكتاب الذي جمعه أمير المؤمنين - رضي الله عنه - كان فيه بيان شأن نزول الآيات. وأسماء الذين نزلت فيهم وأوقات نزولها وتأويل متشابهاتها وتعيين ناسخها ومنسوخها، وذكر عامها وخاصها، وبيان العلوم المرتبطة بها، وكيفية قراءتها".

وإن صح هذا - مع استحالة - فليس هو بجمع للقرآن وإنما هو كتاب في علوم القرآن. وإنما قلت مع استحالة؛ فلأن.

جمعه حسب ترتيب النزول غير ممكن فقد سأل محمد بن سيرين عكرمة مولى ابن عباس فقال: "قلت لعكرمة: ألفوه كما أنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمع الإنس والجن على أن يؤلفوه هذا التأليف ما استطاعوا"

تسميته بالمصحف:

لم يكن "المصحف" يطلق على القرآن قبل جمع أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وإنما عرف هذا الاسم بعد أن أتم زيد جمع القرآن فقد روى السيوطي عن ابن أثنّة في كتابه "المصاحف" أنه قال: "لما جمعوا القرآن فكتبوه في الورق قال أبو بكر: التمسوا له اسما فقال بعضهم السفر وقال

بعضهم المصحف فإن الحبشة يسمونه المصحف وكان أبو بكر أول من جمع كتاب الله وسماه المصحف".

خبر هذا المصحف:

بعد أن أتم زيد جمع القرآن في المصحف سلمه لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- فحفظه عنده حتى وفاته، ثم انتقل إلى أمير المؤمنين من بعده عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وبعد وفاته انتقل المصحف إلى حفصة أم المؤمنين -رضي الله عنها- لأن عمر رضي الله عنه جعل أمر الخلافة من بعده شورى، فبقي عند حفصة إلى أن طلبه منها عثمان -رضي الله عنه- لنسخه بعد ذلك، ثم أعاده إليها -لما سيأتي- ولما توفيت حفصة رضي الله عنها أرسل مروان بن الحكم إلى أخيها عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- ساعة رجعوا من جنازة حفصة بعزيمة ليرسلن بها فأرسلن بها ابن عمر إلى مروان فمزقها مخافة أن يكون في شيء من ذلك خلاف ما نسخ عثمان رضي الله عنه.